حكايات الليالى

٢



بنت الصيّاد وابن الملك

وقصص أخرى

دار المعارف

حكايات الليالى

(٢)

بنت الصيّاد وابن الملك
عاقبة الأشرار

بقلم

أمين أحمد العطار

الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى

الطبعة الثالثة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

« حكايات الليالى » حكايات قصها والد على أبنائه الصغار حين كانوا يجلسون معه كل ليلة ، ملتفين حوله ، ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة .

وكان الوالد يجيبهم إلى طلبهم ، ويحكى لهم حكاية من حكايات الليالى . . .

وفى ليلة من الليالى قص عليهم حكاية « بنت الصياد وابن الملك » :

بنت الصيّاد وابن الملك

يُحكَى أَن صيادًا كان يذهَبُ صباحَ كل يَومٍ بشَبكَتِه وقُفّتِه وعَصَاه ، فيُلقِى فى البَحرِ شبكَتَهُ ثم يُخرِجُها ، ويُلقيها ثم يخرِجُها ، ويَستَمِرُّ علَى هذِه الحالِ وقتاً طَوِيلا ،ثم لاَ يَصيدُ من السَّمكِ إلا قليلا ، فيمضِى إلى السّوقِ ويَبيعُه بثمنٍ قَلِيل ، يَعيشُ عليهِ هو وزوجَتُه وبنْتُه عِيشَةً ضَنْكاً ، وكان عجُوزًا

أَضْعفَ الكبرُ قُوّتَه ، وأَنْحلَ جِسْمَه ، ولمَّا كَبِرتْ بِنتُه أَدركَتْ ما يُقاسيه أَبوها من التّعبِ والنَّصَبِ ، ثم لا ينالُ من الرِّزْقِ إلاّ شيئاً قَليلاً ضَيِّقا لايُسْمِنُ ولا يُغْنِى من جوع ، فقالتْ له :

يا أَبِى ،لقَد كبِرْتُ وأَصبحتُ قادِرةً على أَن أَشْتغِلَ وأَشْعرُ أَنه مِن الواجِبِ علىَّ الآن أَنأُساعِدَك أَوْأُريحَك ، وكفَاكَ ما مضَى من الزمَنِ الذى تَعِبْتَ فِيه وربَّيْتَنِى .

قال أَبوها : يعزُّ علَى أَبيكِ أَن يُتْعبَكِ وهُوَ لا يَزالُ حَيًّا فِيه نفَسٌ يَتردَّدُ .

قالت : يا أَبتِ ما خُلِقْنا إلاَّ لِلْعملِ ، وهَبْنِى تزوجْتُ ووَجدْتُ زَوجِى فى حاجةٍ إلَى أَنْ أَشتَغِلَ وأُساعِدَه لنَعِيشَ فى رَخاءٍ وسَعَة ، فَهلْ ستَمْنعُنِى



يا أبت ، إني كبرت وأصبحت قادرة على أن أشتغل

حِينَئِذٍ عنْ مُساعدتِه ؟

قال أَبوها : وكَيفَ أَدخلُ بينْكِ وبينَ زَوجِكِ بما يُوقِعُ الشقاقَ بَينكُما ، ويُعكّرُ عليكُما صَفْوَ مَعيشَتِكما ؟ إِنَّه لا يَفْعلُ ذلكَ إِلا أَبٌ فى عَقلِه لَوْثَةٌ أَو خَبَل ، والحمد للهِ الذِى حَفِظ علينَا نِعمةَ العَقْل ، وإِنْ كُنَّا فُقَراءَ .

قالت : وأَنتَ أَوْلَى الناسِ بمساعدَتِى ، وأَحَقُّهم ببِرِّى .

قال : وَفِيمَ تَشتَغِلِين يا بُنَيَّتِى العَزِيزَة ؟

قالت : إِنّ جارَنا غَنِى ، وعندَه قُطْعانٌ من غَنَمٍ لا تُحصى ، وأَظُنّه يفرحُ إِذَا عرضْتَ عَليه أَنْ أَرْعى قَطِيعاً مِن غَنَمِه ، وذلكَ يا أَبِى لا يُكلِّفُنِى إِلاّ أَنْ

أَغْدُوَ فِى الصّباح مَع القَطِيع إلى المرُوجِ الخَضْراء ، وضِفافِ الأَنْهار، ومَواطِن الكَلإِ ، ثم أَرجعَ بالقَطِيعِ آخِرَ النّهار ، وذلك عملٌ يسِيرٌ لا مشَقةَ فِيه ، وَسَيكون لَنا مِنْ أَجْرِهِ سعَةٌ فى المعيشَةِ قَد تُغْنِينَا عنْ تَعبِكَ فِى كِبَرِك .

قالت أُمُّها وكانتْ حاضِرَة حَديثَ بِنتِها وزَوجِها :

بُورِكَ فيكِ يا بُنَيّتِى ، وجَعلَكِ سَعيدَةً فى حَياتِك ، ما أَبَرّكِ بِأَبَوَيْكِ !!

ثم التفَتتْ إلَى زوجِها وقالت :

لاَ تحْرِم ابْنتَكَ مِن بِرٍّ بأَبَوَيْها ، فِيه راحةٌ لها ، وسأَقومُ أَنا عنكَ بِعَرضِها علَى جارِنا ، ورَبُّنا الله يَخلقُ ما يَشاءُ ويخْتار .

قال الصَّياد : ما كان لِي أَنْ أُخالِفَ رأياً أَجْمَعتُما عَلَيه ، وهاتِه ابنتُكِ فافْعلِي مَعها ما تَشائِين .

* * *

ذهبَتْ زوجةُ الصَّيادِ إِلَى امْرأةِ جارها الغنى وقالت:

إِنّ زَوجِي كبر وضَعُف ، وعجزَ عن السَّعْى والكَسب والحُصُولِ علَى لُقمةِ العَيْش ، ومن المعْروفِ الذِى تُشابِينَ علَيه أَن تُكَلّمِي زَوجَكِ ليتفَضّلَ بِأَخْذِ ابْنَتِي ترْعى قَطِيعاً مِنْ غَنَمِه ؛ لنَعِيشَ على أُجرتِها ، ولاَ يُرضِيك أَنْ نُضامَ أَو نَموتَ من الجُوعِ ونَحنُ جِيرانكُم .

قالت زوجة الغنِي : كَلامُكِ علَى عَيْنِي ورَأْسِي ، وزَوجِي رجُلٌ طيّبٌ سَبّاقٌ إِلَى الخَيْر ، وسأُكَلمُه حِين يحضُر ، وأَعتَقِدُ أَنّ ذلكَ يَسرُّه ، فشكَرتْها زوجةُ

الصّياد ، ودعَتْ لَها بِدوام عِزها وسَعْدِهَا ، ثم حَيَّتْها وخَرجَتْ .

عرضَتْ زوجةُ الغَنىّ علَى زَوجِها أَمرَ جِيرانِها ، فتأَثّر وقال :

المفروضُ أَنّنِى أَرْعاهُم وأُساعِدُهم ، وأُمِدُّهم بالمالِ وإن لم تَشتَغِل ابنَتُهم عِنْدى ، فأَرسِلِى إلى ابنةِ الصّياد لتَرْعَى قطِيعاً من قُطعانِ غَنَمِى ، وسأُعْطِيها كلّ يَومٍ أُجْرة كأُجْرَةِ الرّجُل الذى يَعُولُ أُسرتَه :

قالت : وفّقكَ اللهُ إلى الخَير ، ذَلك مَعرُوفٌ سَيرُدُّهُ اللهُ فى أَولادِكَ أَضْعافاً مُضَاعَفَة ، ولقَد بَيَّضْتَ وجهى ، بَيّضَ اللهُ وَجْهَكَ .

كانت بنتُ الصَّيادِ تَرعَى قَطيعَها من الغَنم كلّ يوم

وقد باركَ اللهُ فى قَطِيعِها فكانَ أَحْسنَ مِن غَيرِهِ ، كما بدت للغَنىِّ وزَوجَتِه رَضِيَّةَ الخُلُقِ ، ذكِيةَ الفُؤَادِ ، فَفرِحا بها وَرِضيا عنْها .

• • •

وبينَما كانتْ تَرعى قطِيعَها ذاتَ يَومٍ بِجوارِ غابةٍ كثيرةِ الأَشجار والحشائِش عثرت بأَسدٍ مُلقى على الأَرضِ وهو يئِن ويبْكِى .

فقال لها : أسعِفِينى أَيتُها الفتاةُ الكريمة ، وأَنْقِذينى مِن الأَلَم ، وانْزَعِى مِن فَخِذى ذَلك السّهْم ، فَقد جعلَنِى لاَ أَستطِيعُ مشْياً ولا حركة ، وقَد اشْتَدّ بِى الجوُعُ والعَطَش ، حتَّى أَشْرَفتُ علَى الخَطَر .

قالت بنتُ الصياد : أَخْشَى أَنْ يدْفَعكَ الجوعُ

بعدَ أَن أُخرِجَ السّهمَ من فخذِكَ فتطْمَع فى خَرُوفٍ أَوْ نَعجَةٍ مِن هَذَا القَطيع الذِى أَرْعَاه لمالِكِه، وائْتَمَننى علَيه ، ولَو كُنتُ أَملِكُه ما بَخلِتُ عليْكَ مِنه بمَا يُشبِعُكَ .

قالَ الأَسَد : ليسَ مِن طَبْعِنا ـ نَحنُ الأُسُودَ ـ الغَدْرُ والخِيانَة ، ولاَ يَليقُ بِشُجَاع قادِر مِثْلِي أَن يُقابِلَ الإِحسانَ بالإساءَة ، فَلكِ مِنِى الأَمانُ والوَفاءُ .

تأَثّرت البنْتُ بِحالِه وقَوْلِه ، فوَجدَتْ نفسَها مُسرِعةً إليْه ، ونزَعَت السَّهْمَ مِن فخذِه ، وضَمدَتْ جرحَه ، فنَهضَ فِى الحالِ وَشكَرها ، ثم حَيّاها ، وَمَضَى إلَى سبيلهِ فى الغَابة .

* * *

وبينَما كانتْ بنتُ الصّيادِ ترعَى قَطيعَها يوماً

آخرَ بجوار الغَابة عَثَرَتْ بِنمرٍ دَاخِلَ قَفصٍ من حَدِيد ، وضَعه صَيادٌ وثَبّتَه فِى الأَرض ، ومَضى إلى شأْن له آخرَ ، عازماً علَى أَنْ يَعُودَ بعدَ مُدَّةٍ طَويلة يكون القَفصُ فِيها قد صَادَ فَرِيسة ، وكانَ قد فتَح بابَه ، ووضَع فِيه قطعةً من اللَّحم ، فَمرّ بهِ نَمرٌ كبِير ، ولمّا رأَى فِيه اللحْمَ دخَله ليأْكُلَه ، فلمّا جَرَّ القِطعةَ بِفَمِهِ سمِع صوتَ حركَةٍ فى القَفصِ من خَلفِه . فالتفَتَ وراءَه فوجد بابَ القَفَص قد أُغْلِقَ ، فقال فى نَفسِه :

آكلُ اللحم ، ثم أَفتَحُ الباب وأَخْرج ، فإنّ فَتحَه لا يعجزُنِى .

أَكلَ النّمرُ اللحمَ وذهَبَ إلى البابِ ، وحاوَلَ أَن يَفتَحَه فلم يقْدِر ، فحزِن حُزْناً شَدِيدًا ، وجَعل يدورُ

فى القفص ويَنظُرُ حَوالَيهِ ، لعلَّة يَرى أَحدًا يَستَغِيثُ بِه ويرجُو مِنْه أَنْ يُطْلِقَه ، فَما كادَ يَرى بنتَ الصيادِ حتَّى نَاداها مُسْتَغِيثاً بها . فلمّا قدِمَتْ إِليْه قالَ لها :

أَطْلِقِينى من سجنى هذا ، وسأَحفَظُ لكِ هذَا المعْروفَ مدَى الحيَاة .

قالت : إنكَ مَعروفٌ بالغَدْرِ والخِيانة والجُحودِ بالنِّعمة ، فماذا يَقولُ الناسُ عنِّى إِنْ أَنا أَطْلقتُك وأَكلْتنِى وأَكلتَ قَطِيعِى ؟ !

قال النمر : وكيفَ يَقعُ هَذا مِنّى ؟! وكيْفَ تتصَوَّرِينَه؟! إنّكِ تَهَبينَ لِى حَياتى ، ولاَ يَنْسَى فَضلَ مُهْدِيها أَوْ ينكرُهُ ويَجحدُهُ إلا مَجْنون ، فعَجِّلى بإِطْلاقِ قَبلَ أَنْ يأْتِىَ الصّيادُ فَيحُولَ بينَكِ وبَينَ هذِه الهِبَةِ العَظِيمة .

غَلبَ على الفتاةِ ما طُبعَتْ عليْهِمن مُرُوءَةٍ وَرحْمة ، وفَتحتْ بابَ القَفَص ، فَانفَلَتَ النّمِرُ مِنْه مُسْرِعاً ، وَكشَرَ عَن أَنيابِه وقال لها :

لا تَبْرحِي مكانَكِ : واخْتارِى لَكِ مَوتةً تُعجِبُكِ .

اندهشَتْ البنتُ وقالت :

لَقَدْ كنتُ بعدَ استِغاثتك وتذلُّلِك ، أَنتظرُ حمدَك وشُكْرَكَ ، أَعَرفْتَ أَنّ الغدرَ لا يُفارِقُك ؟!

قال : أَعْرِف ذلِك ،فَلا تلومِينِى ولُومِى نفْسكِ .

قالت : تَعالَ مَعِى نَحتكِم إلى أَول حَيوان يُقابِلُنا ، وعلينا أَن نَرضَى بحُكْمِه : سواءٌ أَكان لِى أَمْ علَيْكَ ،

قال : لا بأْسَ فى ذلك .

° ° °

ساقت البنتُ قطيعَها أَمامَها والنمرُ معها ، وبَعد

قلِيل اعْترضَهما أَسَدٌ كان خارجاً من الغابة ، وفرحت البنتُ إِذْ كَانَ ذلك الأَسَدُ هو الأَسد الذِى أَخرجت السَّهْمَ من فخذِه فقالت :

فلْنَحتكمْ إلى هذا الأَسد ولَو أَنه مِنْ فَصِيلتك .

قال : لسْتُ من أَهْلِهِ ولا مِن أَصْدِقائِه ، ولا بـأْس علَينا إذا احتكَمنَا إليه .

كانَ الأَسدُ فتًى مَسْحوراً . وإذا كان السّحرُ قد مسخَ صُورتَه الجِسمية ، فإنهُ لم يَمْسُخ إنسانِيتَه ومُروءَته وتفكِيره .

قَصَّت البنتُ القصةَ على الأَسدِ ، فقَال الأَسد بعد سكْتةٍ قَصِيرة :

وكيف أَحكُمُ فى قَضِيّةٍ مِثْل هذهِ دُونَ أَنْ أُشاهِدِ مَوقعَ حُدوثِها ، وكَيْفَ وقَعتْ ؟!

قالَ النمر : ـ وكانَ فِى خَوفٍ شَديدٍ من الأَسد ، ولاَ يُريدُ أَن يُخالفَه حتّى لا يُغضِبَه ـ : وماذا تُريدُ بقَولِكَ هذا ؟

قالِ الأَسد : أَريدُ بقولى هذا أَن تَفْهم أَنّ القاضىَ لاَ ينْبغِى له أَنْ يُصدر حُكمَه فى قضِيَّةٍ قَبْلَ أَن يفْهَمها . فهَلْ فهمت ؟

قال النّمر : نَعم فَهمتُ .

قال الأَسد : هَيَّا بنا نَذْهبُ إلى مكَان الحادثة ، لأَعرفَ كيف وَقعت .

قال النمر : لا بأْس فى ذَلك .

ساقَت البنتُ قطيعها أَمامَها والأَسدُ والنمرُ معَها حتّى كانَ جَميعُهم عِندَ القفَص ـ وكان الصّيادُ



فلنحتكم إلى هذا الأسد ولو أنه من فصيلتك . . .

لا يَزالُ غائباً لم يَحضُر ـ فقال الأَسد :

قُصَّا عليّ قِصَّتكُما ، فأَعادتِ البنتُ عَليه القِصّة ، دار الأَسدُ حَولَ القَفصِ ينظُرُ إليْه ، ثم التفَتَ إلَى النّمرِ وقال :

كيفَ دخَلتَ هذا القَفص ؟

قال النّمر : دخلتُه من بابِه هذا .

قال الأَسد : أَرِنِي كيف دخَلْتَه ، فتحرك النّمر ودخَلَ القَفَصَ أَمام الأَسدِ وقال :

هكذا دخَلتُه . والتفتَ الأَسدُ إلى البِنت وقال :

وكيْفَ كان البابُ مُغلَقاً ، فتقدمت إلى البابِ وأَغلقتْهُ إغلاقاً مُحكماً وقالت :

هكذا كان البابُ مُغْلقاً .

نظَرَ الأَسدُ إلى النّمر نَظْرة اسْتهزاءٍ وسُخْريةٍ وقال : عَليْكَ أَن تَبقَى فِى قَفصِكَ حَتَّى يأْتِىَ صاحِبُه ، والتَفت إلى البنتِ والابتسامةُ تعلو شَفتَيْه وقال :

ولَكِ أَنْ تذهَبِي بقَطِيعكِ هذا حيثُ تَشائين فلاَ خَوفَ عليْك .

• • •

ساقَت البنتُ قَطِيعَها إلى المرعَى أَمامَها ، ومَشَى الأَسد بِجِوارِها وجَعلتْ تشكُرُ له فَضْلَه فقالَ لها :

لقَد سبَقَ إلَّ فَضْلُكِ ، وغَمرْتِنِى بمعرُوفِكِ وإِحْسَانِكِ ، ولكنَّ لِى حَاجة عِنْدَكِ ، وأَعتقِدُ أَنّها لَنْ تُقضَى إلاّ علَى يدَيْكِ .

قالت : لكَ عِنْدِى كلُّ شىءٍ تُريدُه ، ولا رادَّ

لأَىِّ شَىءٍ تطْلبُه ، فهاتِ ما عِندَك .

قال الأَسد : إِنّى لَسْتُ أَسدًا حَقيقيًّا ، وما أَنا إلا فَتًى مَسْحور .

قالت فى دهشة : ومَن تكونُ ؟ ومن سَحركَ ؟

قال : أَنا ابْنُ مَلكِ المدينةِ التِى تأْتِينَ بِغَنَمك مِنْها . ماتَتْ أُمِّى ، وكَرهتْنِى زوجةُ أَبِى حِينَ كبِرتُ ، وأَرادتْ أَنْ تتخلّصَ مِنِّى ، فاسْتأْجرتْ عجوزًا ساحِرة ، وأَغدقَتْ علَيْها المال ، وأَمَرتْها أَنْ تسحرَنى وتَنفِينِى مِنْ قَصرِ أَبِى ، فسحرَتنِى تلِك العَجوزُ أَسدًا لا أَبرحُ هذِه الغَابة .

قالت : وأَينَ هذه العَجُوز ؟

قال الأَسد : إِنَّها تُقيمُ فى كُوخٍ بهذه الغَابة ،

وتذهبُ كُلَّ يَومٍ إلى مَدينَة أَبى علَى أَنَّها تَفُكُ عقمَ النّساءِ وتطْردُ الشياطين عن الأَولاد ، وتَقَرِّبُ بَينَ المرْءِ وزوجِه .

قالت : ومَاذَا أَفعلُ حتّى أَعتقَكَ من سحرِك ؟

قال : سَمِعتُ العَجُوزَ الساحرَة تقولُ لزوجة أَبى بَعدَ أَنْ سَحرتِنِى : لا يَفُكُّه من سحِرِه إلا بنتٌ بِكرْ ، بارةٌ بأَبَويْها ، ذات مرُوءَة ورحْمة ، وقَدْ وجدتُكِ تتحلَّيْن بهذِهِ الصفاتِ المجيدة .

قالت : فهمتُ هذا ، ولكِنْ مَاذَا أَفْعل ؟

قال : سَمِعتُها تقُول : وهذه البنتُ لا تُخلِصُه من سِحْرِه إلا إذا أَخَذتْ سَيْفَ أَبيه الملِكِ وشقّتْه به نِصْفيْنِ بضَرْبةٍ واحدةٍ حَين تشرِقُ الشَّمس ، فإِنَّها إِنْ فَعلتْ هذا انْقَلبَ فى الحال فَتًى أَجمل مِمّا كان ،

فالمشكلةُ التى أَمامَكِ هى الحصُولُ علَى سَيفِ أَبى ، وهو سيفٌ يدُه من ذهَب ، وطرفه مكْسُورٌ ، وهذه المشكِلَة متروكةٌ لذَكائِك ومروءَتِك ، وأَنا فى هذهِ الغَابةِ أَنتظِرُك .

قالت : لقد وهبْتَ لِى حياتى بتخليصِى من النَّمر الغادِر ، فإِذا ضيَّعتُها فى سَبيلك فَهِى مِنْكَ وإِليْك ، وسأَسْتَعِينُ برَبىّ الذِى لا يَرضَى لِعباده ظُلْماً ، وإلى اللقاءِ أَيُّها الفَتى الكَرِيم .

• • •

كانَ الملكُ حَزِيناً على ابنه ، إذ فَقَده بغْتةً ولا يعرف له مقَرًّا ، ولاَيدْرِى أَمِن الأَحياءِ هوأَم من الأَمْوات ، وقد تَعِب فى البحثِ عَنْه ، وفى مَعرِفةِ خَبر عنْ فَقدِه ، وكيفَ فقده بَغْتة وهو فى قَصرِه ، ولكنَّهُ لم يَصِل إلى

شيءٍ ، ولبثَ بضْعَ سِنينَ وهو لاَ يَنْساه ، ولا يُفارِقُه الحزنُ عَليْه ، ولا يَزَالُ يُصدِّق الأَوْهام ، ويَجرِى ورَاءَها ، ليحْصُلَ علَى ابْنِه وفلْذةِ كَبدِه ، وكَثيرٌ من المَنَجِّمِين خَدعُوه وفَشِلُوا ، ولكنّه لا يَزالُ إذا سَمِعَ عَن أَحدِهِم أَحْضَره ، وتشبّثَ بِهِ وجَرى وراءَ أَوْهامِه ، مَهْما تكُن مَزاعِمُه .

شَغلَت بنتُ الصياد نَفْسها بأَمْرِ ابن الملِكِ والتَّفكِير فِيه ، وكَيفَ تَحصُلُ علَى سَيفِ أَبيه ، حتّى اهْتدَتْ إلىَ حِيلةٍ ناجِحة ، فماذا فَعلَتْ ؟

باعت خَرُوفين من القَطيع ، واشْتَرتْ بثَمنِهما مَلابِسَ لرجلٍ مَغربىّ ، ومبخَرةً وأنواعاً من البخور وقطْعةً من البِنْج الطّيار ، فَعلتْ هذا وهِى راجِعةٌ بالقَطيع إلى بَيت الغَنِىّ ، وكانَ بيع الخَروفَين لتاجِرٍ منْ مدينةٍ

أُخرى كانَ فى طَريقه عائدًا إليْها .

أَدْخلَت القَطِيعَ حَظِيرته وأَغلقتْ علَيْه ، ثمَّ ذهبَتْ إلى بيتِ أَبيها لتبيت عندَه كعادتِها ، علَى أَنْ تقوم فى الصّباحِ إلى قطيعها لتأْخُذَه إلى المَرْعَى ، وقبيل الفَجْرِ كانت قد لبِستْ ثياب المغربِى وعمامتَه وأَلصقَتْ بوَجْهِها ذَقْنًا صِناعية سَودَاءَ تُسايرُ عُمرَها ، ثم خرجَتْ مِن بَيتِ أَبَويْها وهُما نَائِمان . واستمرَّتْ سائرةً حتَّى خَرجَتْ من المدِينة ، وانْتَظَرت حتى طَلَعت الشَّمس ، ثم رجَعتْ إلى المدينةِ رجلاً مَغربيًّا فى زِيِّها الجَديد ، ومضَتْ إلى قَصرِ المِلك ، وعنده جَعلَت تُنادِى :

مَغْرِبِىّ يُبينُ البَخْتَ النّاعِس والنَّابِه، ويكشفُ عن المالِ المسْرُوق والتائِه ، انظر بَختَكَ يا حَزِين ، فَتّشْ

عَنْ مالِك الضّائِع يا مِسْكِين ، وكانتْ تقول هذا بصَوْتٍ جَهْورِيٍّ جمِيل ، ذِى نَغمات ٍشجِيةٍ مُثِيرة .

سَمِع المَلِكُ نداءَها فثارَتْ أَحزانُه على ابْنِه ، وأَمَرَ فى الحالِ أَنْ يأْتُوهُ بهذا المغْرِبِيّ لعلَّهُ يدلُّه علَى ابنهِ ، أَو يأْتِيه بخَبَرٍ عَنْه ، فَجِيءَ به فى الحال ، وأَمرَه بالجلُوسِ فجلَس ، وقَص علَيهِ قِصّةَ ابْنِه ، وأَنه فَقَدهُ مُنذُ بِضْع سِنين ولا يَعرف له خبرًا ، وأَخبرَه أَنّ كثيرًا من المنَجِّمين والعَرّافِين سَبقُوه وحاوَلُوا أَنْ يسْلكُوا السّبِيلَ إليْه ولكِنّهم فَشِلوا .

قال المغربِى : لن تَرَى بفَضْلِ اللهِ فَشَلا ، وسَتكونُ النَّتيجةُ سارَّةً مُرضِيَة . وسَيدعُونِى هذا الأَمرُ إلَى أَنْ أَسْهرَ تحتَ النّجُوم فى مكانٍ مُنْعزِلٍ أَخْتارُه أَنَا ،

قال الملكُ : هذهِ حديقةُ قَصرِى وَاسعةٌ فانزِلْ

إليْها واخْتَر المكَانَ الذِى تراه صَالحاً .

قالَ المغربى : وسأَسْهرُ اللّيل أَتْلو العَزائِمَ علَى دُخَانِ البخور مُدةَ أُسبُوع ، أَتوَقّعُ فى خِلاَلِه الفَرجَ من عِنْدِ اللهِ العِلىِّ القدِير الذى لا تَخْفَى علَيْه خافِية .

قال الملك : ولِكَ ماشئتَ من طَعام وشَراب وَرَاحة ، وسآمرُ خَدَمَ الحديقةِ أن يكُونُوا فى طَاعَتِك وتحت أَمرك .

• • •

نَزل المغربىُّ واختارَ المكانَ فِى الحدِيقةِ ، وأَمرَ أَن تُطْفأَ مصَابيحُ الحديقةِ وألا يأْتِيهَا ضَوءٌ من مَصَابيحِ القَصْرِ حِين يجلسُ لِتلاوَةِ عَزائِمه ، وباتَ اللَّيلةَ الأُولَى يُتمتِم كأَنَّه يتْلُو عَزائِمَ قَدْ حفِظَها عَنْ ظَهرِ قَلْب ، علَى دُخَانِ البخورِ الذى انْتشرتْ رائحتُه فى



إن الجن طلبوا مني سيفك ؛ ليساعدهم على معرفة أبنك . . .

أَرجاءِ الحدِيقةِ والقَصْرِ ، وفى الصَّباح نام حتَّى استَوْفَى راحَتَه ، وحَظَّه مِن نَومِهِ ، وعِنْدَ غُروبِ الشَّمسِ ذَهبَ إلى الملكِ وقالَ لَه :

إن الجنَّ طَلبُوا مِنِّى سيفَك ؛ ليُساعدَهم على مَعرفَةِ ابْنِك ، وقالوا لى : إن سيفَ الملكِ يدُه مِن ذَهَب ، وطرفه مكسور ، وقَدْ شَغله عن إصْلاحه ضَياعُ ابْنهِ .

وجَدَ الملكُ أن المغْرِبىّ أَخبرَه عَنْ أَشْياءَ صَحِيحة لمْ يكُن يَعرِفُها مِنْ قَبْلُ ، فَوَقَعَ قولهُ فى نَفْسِه مَوقع الصّدق ، وفَتَح أَمامَه أَبواب الأَملِ فى العُثور على ابنِه ، فناولَه سَيفَه ، ووَصّاه أَن يَزيد اهْتمامَه بأَمر ابْنِه ، ووعَدَه مُكافأَةً قَيِّمَة .

قال المغربىّ : أَرجُو مِن اللهِ التّوفيق ، وأَنْ تكونَ

البَشائرُ التى بدَتْ لى ليلةَ أَمْس بشائرَ خَيْرٍ وفَرحَة ، ثم أَخذَ السَّيفَ فى قِرابه وذَهبَ إلى مَعْزلهِ ، وبَعد العشاءِ أَوقَد المبخَرَةَ ، ووضَع البخورَ ، وأَخَذ يُتمتم حتّى انتصَفَ اللّيل ، ونام القَصْرُ والحديقَة بمنْ فِيهما ، ثُم تركَ المبخرةَ والبخورَ وأَخَذ سيفَ الملكِ وذهبَ نَحو بابِ الحديقَةِ ، فوجدَ البوابَ فى عزِّ النوم ، فوضَعَ أَمامَ أَنفِه قطعة من البنج الطيّار حتى خدِر ، وصار كأَنه مَيّتٌ مِن الأَموات ، ثم أَخذَ مفتاحَ باب الحديقة من مكَانِه فى حجُرةِ البَواب ، وكان قد عَرفه منْه مِن قَبل . وفَتَح البابَ وخَرج ، ثم أَغلقَه وأَلْقى المفتاحَ داخِل الحَدِيقة .

* * *

ومضَى المغربى نحو الغَابة ، ولبثَ بَعيداً عنْها حتى

بان ضَوءُ الفَجر ، ثم أَسْرعَ ماشِياً إلى حَيثُ يُقيمُ ابن الملك فى الغَابة ، وَكانَ قد عَرّفهُ بمكان إقامتِه فيها ، فوجَدَه مُسْتيقظاً فأبْتَدره قائلا :

لَسْتُ رجُلا مغربيًّا كما تَرى ، وما أَنا إلاّ بنتُ الصّياد التى تَسْعى لتَخليصِك من السّحر ، تَنكَّرتُ فى هذا الزّى لأَحْصُلَ على سَيفِ أَبيك ، وقد نجحتُ وأَحْضَرتُه ، وهَا هُو ذَا ، ثم جرّدتْه من قِرابِه ، وقلبتْه بيْن يَديْه ، ففرِح وقال :

هذا سَيفُ أَبِى ، وما بَقِىَ إلا أَن تَشُقّينى به نِصْفين حينَ تشرقُ الشمسُ بضَربةٍ واحِدةٍ قويّة ، وحِينَ طَلعَت الشمسُ ضَربتْه بسَيفِ أَبيه ضَربةً واحِدةً بكل ما فِيها من قُوّة ، فانشقّ الأَسد نِصْفين عن فَتًى جَمِيل ، وكان ابْنَ الملِك ، فقال :

حَمدًا لِله وشُكْرا لَكِ أَيّتُها الفتاةُ الكَرِيمة ، هَيّا بنا نرحَل إلى قَصرِ أَبى لنعجلَ بسُروره وفَرحِه ، فَقَد حمل من الأَحزانِ والآلامِ لغيْبَتى عَنه هذِه السّنوات ما لا تَحملُه الجِبال .

قالت : وسأَدخُلُ عليه مَعكَ فى زِّى هذا وتَنكُّرِى ، حتى نُفاجئَه بالحقيقَة .

قال : هذا حَسَن .

مَضَى ابن الملكِ ومعهُ المغْربى إلى قَصرِ أَبيه ، وحِينَ دخَلَ بِه المغْرِبىُّ هاجَ منْ فى القَصْرِ فَرحاً ، ودوّتْ زغاريدُ الجوارى فى أَنحائه، وتسابَق الخَدمُ والجوارى إلى الملكِ يُبَشرُونَه بقُدومِ ابْنِهِ ويهنّئُونه ، فنهضَ من فِراشِه ــ وكانَ لا يَزال نائِماً ــ وأَسرع فَرِحاً إلى

ابْنِه ، فتَلقّاه فِى صَدرِه ، ولبِثَ طَويلا يحْتضِنُه ، وأَعينُهما تفيضُ مِن الدمْع فَرَحاً باللقَاءِ بَعد طول الغِياب .

وفى جلسَةٍ جامعةٍ حَضَرها الأُمراءُ والأَعيان الذِين جاءُوا للتَّهنئَة قصّ ابنُ الملكِ قصَّته ، وما فعلتْه بنتُ الصّيادِ من المعْروفِ مَعَه ، وهُنَا أَلقَت بنتُ الصّياد العِمامَة والذَّقْن الصّناعِيّة ، وحكَتْ ما فَعلتْه، وطلبَتْ من الملكِ أَنْ يدْفَعَ للغَنِى ثَمن الخَروفَينِ اللذَين باعَتْهما لتشترِىَ بثَمنِهما مَلابِسَ التَّنكُّر .

وقَع هذا اللقاءُ وزوجَةُ الملكِ فى غُرفتِها ، غارقَةٌ فى حُزنِها وخِزْيِها ، وتَنتظِر مَصِيرها ، وأَمرَ الملكُ فى الحالِ أَن تَحضُر بينَ يَدَيْه ، فلما حضَرتْ سأَلَها عما فعلتْه بابْنِه . فما استطاعتْ أَن تُنكِرَ شيئاً ،

فأَمرَ بإِعْدامِها ، ولكن ابنَه شَفَع لهَا عِنْد أَبيه ، فَقبلَ شَفاعتَه وأَمَر أَن تُلقَى فى السَّجن وتلبثَ فِيه حتى ينْقضِىَ أَجلُها .

• • •

أَما العجوزُ الساحِرة فإن الملك أمر جماعَةً من الجنْدِ تحتَ قيادة رئيسِهِم أَن يحضروها من مسْكَنها بالغابة ، فذهبُوا إليها ومَعَهم ابنُ الملك الذى دلَّهُم على كُوخِها فى الغابة ، وأَحْضَروها ، فلما وقَفتْ بين يديه ، وسأَلها عما فَعلَتْه بابْنِه اعترفَتْ وقالتْ :

إِن ما فعلتُه كان بتَحريضِ زوجتك ، وقد أَنذَرتنى الموتَ إن لم أَستَجِبْ لها .

قال : ولمَ لَمْ تخبرينى سِرًّا بما فعلتِه ، حتى

لا نلبثَ أَنا وابنِي فى هذا العذاب الطويل الذى قاسَيناه بِضْع سنوات ؟

فسكتت العجوز ولم تستطعْ أَنْ تجيب .

فقال الملك : إنَّ فى وجودك خَطَرًا على النَّاس ثُمَّ أَمرَ بإِعدامها ، فأُعدِمَتْ فى الحالِ .

* * *

طلبَ الملك فى حَضرة ابنه من بِنْتِ الصّياد أَن تطلبَ مِنْه ما تَشاءُ مكافأَة لها على مَعروفها ، فقال ابْنه :

أَرجُو من أَبِى أَن يُزَوجَنِيها ، فقلَّ أَن نجد أُنْثى فى مُرُوءَتِها وعِفَّتِها وذكائِها وجَمالها ، وهذا الزواج أَعظَمُ مكافأَة لهَا وأَكبر هديَّة لِى .



فهنيئاً لكما هذا الزواج الميمون

قال الملك : لقد سبقتَنِى إلى رغبةٍ كانَتْ تجول فى نَفسى ، فهنيئاً لكما هذا الزواجُ المَيْمون.

* * *

ثم أَحْضَر الملكُ أَبويْها ، وأَجْرى عليهما من مالِه ما أَسْعدهما ، وأُقيمت الأَفراحُ ، وزُفَّتْ بنت الصياد إلى ابْنِ المِلك ، وعاشا فى سعادةٍ وهناءة حتى انتَهى الأَجل . وكانَ برُّ البنْتِ بأَبويها سبباً فى سَعادتِها وسعادة أَبَويْها . . .

فرغ الولد من حكاية «بنت الصياد وابن الملك» ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الولد : موعدنا الليلة التالية حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » . . . طاب مساؤكم ، وتصبحون على خير . . .

وكانت الليلة التالية فجلس الأولاد ملتفين حول أبيهم مسرورين ، واستمعوا إلى ما يقصه عليهم أبوهم من حكايات الليالى . . .

وكانت حكاية الليلة . . . حكاية « عاقبة الأشرار » :

عاقبة الأشرار

هَذا رجل غَنِىّ يَملِكُ أَرضاً خِصْبَةَ التُّربة ، واسِعةَ الرُّقعَة ،قد امتدَّ على رأْسِها نهرٌ جارٍ لا ينقطع ماؤُه ، ولا يجفّ شاطِئاه فَهِى تُسْقى منه كُلَّما كان الزرعُ فى حاجة إلى الماءِ ، ومالكُها الغَنِىّ يَحصل مِنْها كُلَّ سَنَةٍ علَى مَحْصولٍ كَثيرٍ ، ورِزْقٍ عَظِيمٍ وَفِيرٍ ، وَيقومُ هو نفسه بإدارة شُئونِ ضَيْعتِه إدارةً دقيقةً حَازِمة ، قائمةً علَى العَدْلِ والرأْفةِ وإكرامِ العُمالِ الذين يعملون

فِيها مِن الفَلاّحين فَلا يجُورُ عليهم ولا يَبْخل ، ولا يحجُبُ عَنهم خيرهُ وبِرَّه ، ولِهذا أَحَبُّوه وخَدمُوه بإخْلاصٍ وأَمانةٍ ووفاءٍ ، وكانت الضّيعةُ تَأْتِى له بأَبْركِ الثّمَرات وأَجْودِها .

كانَ مِن بَينِ عُمَّالِه الذِينَ يَعْمَلونَ فى ضَيْعتِه عامِلٌ فقِير ، امتازَ بِذَكائِه ، وحسْنِ تَصريفهِ ، والإجادةِ فى عَملِه ، وكرِيم خُلقِه ، كما عُرِفَ بالصِّدقِ فِى القَوْل ، والإخلاصِ فِى العَمَل ، والوفاءِ بالعَهد ، وهُو إلى ذلِكَ كلِّه شُجاعٌ وشهمٌ كرِيم ، ولهذا أَحَبّه الغَنىُّ وأَعزّه وَقَرّبَهُ مِنْه ، فَكانَ مُسْتشَارَهُ المُخلِصَ الأَمين .

عاشَ هذا الغَنِىُّ وزوجَتُهُ فى قَصره الفَخْمِ الكَبير ، مُسْتَمتِعَيْن بِسعةِ المعِيشَةِ ورخَائِها ، ولبثَا يرتقبان

أَنْ يَرْزُقَهما اللهُ بِوَلدٍ يَملأُ القَصرَ حَياةً وحَرَكَة ، ويَملأُ صدْريْهما سُرورًا وفَرْحَة . ولكِنْ :

ماكُلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكهُ
تَأْتِى الرياحُ بما لا تَشْتَهِى السُّفُنُ

كانَتْ هذِه الزوجةُ عَقِيمًا لا تَلد ، ورأَتْ من زوجِها رغْبةً شَدِيدةً مُلِحَّةً فى أَنْ يكونَ لَه وَلَد ، فقالتْ له :

إنِّى امرأَةٌ عَقِيم ، ولاَ رجَاءَ لكَ فى ولَدٍ مِنِّى بعد هذِه المدَّةِ الطّويلَة ، والعِشْرَةِ المديدَة ، وأَرَى أَنْ تَتزوّجَ مِنْ فَتاةٍ وَلُود ، فَعسَى اللهُ أَنْ يَرْزُقَكَ مِنْها بوَلدٍ يكُونُ قُرّةَ عينٍ لى وَلَك .

قال الغنى : هَل نَسِيتِ أَنّ هَذا الولَدَ سيكُونُ ابن ضرَّتكِ ؟

قالت : ما نَسِيتُ هذا ، فإنّى أَعرِفه ، وأعرفُ أَن الضَّرَة ثَقِيلةُ الظِّل ، وأَنّ الضَّرة لاَ تُطاق ، وأَنها لا تَقعدُ عن الكيد لضرتها ، وأَنّ لها فى ذلك حيلاً تعجزُ عنْهَا مردَة الشياطين ، ولكِنّ حِرمانَكَ مِن الولَدِ أَشَقُّ علَى نَفسِى من ضرّتِى ، ولَيْسَ فى زواجِكَ من الضرة حِرْمانٌ من نعْمَةِ الولدِ التى يَنشُدها كلُّ رَجُل ، وكُلّ ما فِى الأَمْرِ أَنّها ستُشاركنِى فِيك ، وفِى مَعيشَتِك الهَنيئَة ، ولا يَنبَغِى أَنَ تكُونَ كَراهِيتى للمُشاركةِ سَبباً فى حِرْمانِك من وَلدِ سيكونُ امتِدادا لحياتِكَ مِن بَعدِك .

قال الغنىّ : لقدْ فكرْتُ فى هذا ، ولكنِّى سَكَتّ عَنه وَطرحْتُه جانِباً ؛ لأَنى لا أُريدُ أَن أُزْعجكِ بضرّةٍ تقاسِمُك ما أَنتِ فيهِ من هناءَة .



قالت الزوجة : إنى امرأة عقيم .. وأرى أن تتزوج من فتاة ولود . . .

قالت : إنَّ ما فكّرتَ فيه عَدْلٌ لا يَشُوبُه ظُلم ، ومِن العدْلِ والمروءَةِ أَنْ أَحتمِل كلَّ شيءٍ من أَجْلِك ، وما دُمْت تعدِلُ بَيني وبينها فإنِّي راضِية ، فاطمئِن وتزوَّج .

قال الغَنيّ : ولكنّ العَدْلَ لاَ يدفَعُ الغيرة .

قالت : مَهْما يُبالغ الزَّوج في عَدْلِه وإحسانِه فلَنْ يَدْفعَ الغيرة ، ولكِنّ المرأَةَ العاقلةَ الطيِّبة بعَقْلِها وَصلاحِهَا تَمْحُو كُلَّ أَثَرٍ للغيرة ، فاطمئِنّ وتَزَوَّج ؛ وستَجدنِي مُسْترِيحةً راضية ، حَرِيصَة على راحتِك .

وقع قولُ الزوجة في نفس زَوجها مَوْقعَ القبول والرضا ، وأَخْذًا بالحزم في هذا الأَمر الخَطِير لم يشأْ أَنْ يتَزَوَّج من أَيِّ بيت ، وأَن يسقُطَ على أَية زوجة ،

ولكنَه كان حَريصاً على أَن يختار زوجةً طيبةً صالحة ، لتكون زوجتُهُ الأُولى فِى مأْمنٍ من شرها ، أَوْ هِىَ أَقرب ، وليدفع عَن بيته ما عسَى أَن يكون بينْهما من تنافسٍ وتحاسُدٍ وتباغضٍ فاجتهدَ فِى البحْثِ عنْ زَوجَتِه الجَديدة ، حَتّى عَثَر عليْها فِى أُسْرةٍ كريمة ، فكانتْ مثلاً حَسَناً فِى الجَمال والخُلُقِ الكامِلِ ، وشاء الله أَنْ يَهبَ له مِنْها غُلاماً جَمِيلا ، فَرحَ به أَبُوهُ فَرحاً عَظِيماً .

* * *

رَبَّى الغِنِىّ ابنَه هذا تربية حَسنَة ، وعلَّمَه القِراءة والكتابَة والعلُوم التى وصَلَ إِليْها الإِنسان فِى زَمنِه ، وعلمه ضُروبَ الفُروسية والفتُوّة ، فكان الفارِسَ البَطل ، الذِى لا يُشقّ له غُبار . ولما كبِر واشتَد وبَلغَ الرُّشد ،

أَسندَ إِليْه الإشْرافَ علَى العُمالِ الذِين يَشْتغِلون فِى ضَيعتِه ، ولمّا لمس منْه الذَّكاءَ ، وحُسْنَ السّياسة ، والدِّقّةَ فى أُموره ، والاسْتِقامةَ والأَمانَة ، وَكَل إليه إدارةَ شُئون ضيْعَتهِ ، وجَعلَه أَميناً علَى خَزائنه وأَمْوالِه ، يتَصرَّف فِيها كما يَشَاء ، وبِهذَا أَصبحَ كلُّ شىءٍ فِى قبْضةِ يَمِينِه ، وَوَجدَ أَبُوه مِنْه ما أَرضاه وأَراحَه ، وانشَرحَ بهِ صَدْرُه ، فَأَحَبّه حُبًّا عَظِيماً ، وكانَ زينَتَه فى دُنياه وكانَ لأُمِّه مِن أَجلِه منزِلةٌ كرِيمةٌ فى نَفْس أَبيه .

وجدَتْ زَوجةُ الغَنىِّ الأُولى أَنَّها دُونَ زَوْجتِه الجَدِيدة ، وأَنَّها عاطِلٌ من الوَلدِ الذى يُعلِى شَأْنَها ، ويرفَعُ ذكْرَها فِى نَفْسِ زَوجِها ، فاشتعَلتْ نِيرانُ الغَيرة مِن ضَرتِها فى صَدْرِها ، وأَصبحَتْ لاَ تُطِيقُ



كانت العجوز ماكرة داهية خبيرة بألوان الخديعة والحيل

عَلَيْها صَبْرًا ، فكَظمتْ غَيظَها وحُزنَها فى صَدرها ، وشَكت حَالَها إلى امرأةٍ عجوز كانتْ تَزورُ قَصرَ الغَنِيِّ كثيرًا ، لتَحصُلَ علَى إحْسانِ الغَنِيِّ ومَعونتِه ، وصَوَّرت للعَجوزِ جَسَامةَ غَيظِها وقالت لَها :

إنَّنِي لا أُطيقُ صَبْرًا علَى هذِه الحال ، ولَنْ أَسْتريحَ حَتَّى أُفَرِّق بَين زَوجِي وابْنِه ، وأَحرقَ أُمَّهُ بِنارِ فِراقِه . ولكِن أَعجَزتْنِي الحِيلَة ، وضَللتُ السَّبِيل إلى تَحقِيق رغْبَتِي ونَيلِ مُرادِى .

كانت العجُوزُ ماكِرةً داهِية ، خَبيرةً بألوانِ الخديعةِ والحِيل ، فقالت :

نَحنُ نَعلمُ أَنَّ الغَنِيَّ قد أَسْلم شُئونَ أَموالِه وضَيعَتِه إلى ابنِه ، وأَنَّ ابنَه قامَ بِتدْبيرِها علَى أَحْسن حال ،

وأَنهُ مِنْ أَجْلِ ذلكَ نزَلَ فى قَلبِ أَبيه مَنْزِلةً عظِيمَة ، وأَصْبَح أَحبَّ إليه مِن نَفسِه ، ومن العَسِير القَرِيبِ من المحال زَحزَحةُ الولدِ من قَلبِ أَبِيه ، حَتَّى يَغْضبَ عليه ويَطْرُدَه .

أَما الولدُ فمِن المحالِ أَنْ يُفَارِقَ أَباه ، وهُو يَرَى أَنه صَاحبُ الأَمْرِ والنَّهى ، وأَنَّه أَحَبُّ إِلى أَبِيهِ من نفسِ أَبِيه ، وذَلك سرُّ عَجزِك وضَلالِك .

وبَعْد هذا فأَنتِ تَعْلَمِين أَنكِ من أُسرة فَقِيرة ، وأَنَّكِ تَسْتمتِعين فى بيْتِ زَوجكِ بِنعْمَتِهِ وإِحْسانِه ، وتَمرَحينَ فى بَسْطةٍ مِن مَالِه وخَيْره ، وتَعلمين أَنَّ التَّفرِيقَ بَينَ الولَدِ وأَبيه إِساءَةٌ وأَذًى لزَوْجِكِ الَّذِى يَكفُلُك ، فكَيْفَ طَوّعَتْ لَكِ نَفْسُكِ مُقابلَةَ النِّعمةِ والإِحْسانِ بالجحُودِ والإِساءَة ، والخَير الوفير بالشَّرِّ

والأَذَى ؟! أَلاَ تَعلمِين أَنه إِذَا انكشَفَ أَمْرُكِ لزَوجِكِ طَرَدَك من بَيتِه بكلمةٍ تَخرُجُ من فَمِه ، وزَوَاكِ فى بَيْتِ أَبيك تُقاسِينَ فِيهِ شِقْوَة الفَقْرِ والحاجَة ؟

وأَدْهَى مِن ذَلكَ كُلِّه وأَمَرّ أَنك تَطْمَعِين فى أَنْ أُشارِكَكِ فى ضَلالك ، وأَن أَكونَ جَاحِدةً مِثلَك ليكونَ الضَلالُ ضلالَينْ ، والجُحود جُحودَين .

أَلاَ فَلْتعلَمِى أَنِّى امْرَأَةٌ كبيرة ، أَعرِفُ الإِحْسانَ وأَهلَه ، وزَوجُك هذا قد غَمرنى بإِحْسانِه ومَعونتهِ وفَضْله ، ولَنْ أَنسَى له ذَلك ماحَييت ، ولازِلتُ الشاكرَةَ لَه مَعْرُوفَه ، المُقِرةَ بإِحْسانِه وفَضْلِه ، وبعد هَذا فإِنّى أعْتقِد أَنّى أَدَّيتُ الواجِبَ بنَصِيحتى لك ، وأَنتِ وشأنكِ ، وسَلامِى عَليك .

* * *

تركَتْها العَجُوزُ ومَضَتْ إلى زوَجة الغَنى الجَدِيدةِ فى مَقْصُورَتها ، وجَلستْ معَها تُحدّثُها وتُسَلِّيها كعادتِها ، ثم نالَتْ منْها بَعضَ الإحْسان ، وخَرجَتْ من عِندِها شَاكِرَةً حامِدَة .

أَمّا الزّوجَةُ الأُولَى فقَدْ تركَتْها العَجُوز مُبَلْبَلَة الفِكْر ، تائِهةً بيْنَ الخَير والشَّرِ ، تدفعها الغيرة إلى الأَذَى ، وترشدُها النَّصِيحةُ إلى الهُدَى ، وقَضَتْ ليلتَها سابِحَةً فى حُمّى التَّفْكير ، لا يغمضُ لها جَفْن ، ولا يَسْتَقِر بها مَضْجَع ، وانتَهى بِها الأَمْرُ إلى تلبِيةِ غَيرتِها ، والكُفرانِ بنعْمةِ زَوجها ، والإِصْرارِ علَى تَنْفِيذِ رغَبتِها ، والعَمل على التفريق بَين الابْنِ وأَبيه ، والبحث عن الأَسْبابِ التى تحُقّقُه، وعَزَمَتْ علَى أَنْ تُفْهِم العجوزَ أَنَّها استجابت لنَصيحتِها ، وأَنّها لَنْ

تُفكِّر فِى أَذًى تُقدِّمُه لزَوجِها وَلِىِّ نِعْمَتِها وكافِلِها .

جاءتها العَجوزُ فى الصَّباحِ لتَعْرِفَ منهَا ما عَزَمَتْ عَلَيْه بَعْد أَنْ أَسْدَتْ إليْها نَصِيحتَهَا الغَالِيةَ .

اسْتَقبَلتْها الزوجَةُ الأُولى مُنْشرحَةَ الصَّدْر مُبْتَسمةً فَرِحةً وقالت لها :

أَشكُرُكِ شكْرًا جَزيلا ، فقَدْ هَدَيتِنى حِين ضَللت ، وجعلْتِنى أُبْصِرُ حِين عَمِيت ، وحُلتِ بَينى وبَيْن شَرٍّ لاَ يقدمُ عَليْه إنْسان . وقَد رجَعَ إلَىَّ رُشْدى ، وعَرفْتُ مكانَتِى مِنْ زَوْجِى ، ومكانَةَ زَوجِى مِنِّى ، ولَنْ أَكُون له إلاَّ الزَّوجَةَ المُطِيعة ، الوفِيّةَ المُخْلِصة ، والفَضْلُ راجعٌ إليْك ، وأَرجُو منك أَنْ تُسْدى إلَىَّ مَعرُوفاً جَدِيدًا .

قالت : وما هُو ؟

قالت : أن تكتمِى فى صَدْرِكِ أَمْرِى ، ولاَ تَذكرِيه عِندَ أَحد غَيرى ، والحمد لِلهِ الذِى قَدَّرَ ولَطَف .

قالت العَجُوز : اطمَئِنّى ولاَ تَخافى ، واحْذَرِى أَنْ يَعُودَ إليْكِ ضَلالُك ، فيُصِيبَك بِشَرِّه وأَذاه .

قالت : لَنْ أَضِلَّ بَعدَ ذَلك ، وسَتَجِدِينَنِى خَيْرَ زَوجَةٍ وَفِيةٍ لزَوجِها .

• • •

كان هَذا العامل الذِى اتّخَذَه الغَنِىّ مُسْتشاره يَعْطِفُ علَى ابْنِه فى حَداثَتِه ، ويُعْنَى بشُئونِه ، ويُوفّرُ لَه أَسبابَ راحَتِهِ وسُرورِه ، فشَبّ ابنُ الغَنِىّ فى أَحضانِ عَطفِه والاهْتمامِ بشأْنِه ، فمَال إليْه وأَحبَّه ، ونَمَا هَذا الحُبُّ علَى مَر الأَيَّام ، ولما بَلغَ ابن الغَنِى مَبْلَغَ الرِّجال

ووَكلَ إليْه أَبوه شئُونَ الضيْعةِ والأَموال ، اتّخَذ منَ هَذا العاملِ أَخاً كرِيماً ، وصَدِيقاً حَمِيمًا ، وجَعله رَئيساً للعُمال ، وأَدَارا شئُون الضَّيعة علَى أَساسٍ من التَّعاون والمحبَّة والإِخْلاَص ، فأَتَتْ أُكُلها ضِعْفين ، وأَصْبَحَت الضَّيعةُ ضَيْعَتيْنِ ، وكانَ الابنُ لِأَبَويْهِ قُرَّةَ عَيْن ، وكانَ لأُمِّه مفْخرةً تفتَخِرُ به عِندَ كلّ مُناسبَةٍ وفى كُلّ حِين .

التَهبت الغيرةُ فِى صَدْرِ الزّوْجةِ الأُولى ، واشْتَدّ غَيظُها وحِقْدُها إذْ وَجدَتْ ضَرّتَها بَولدِها النّجيب كأَنّها شَجرَةٌ طَيِّبةٌ أَصْلُها ثابتٌ وَفرْعهُا فى السَّماءِ ، ووجَدتْ نَفْسَها مِنْ غَيرِ وَلد لَها كأَنَّها شَجرةٌ خَبِيثَةٌ اجْتُثّتْ مِن فَوقِ الأَرضِ مَالَها مِن قَرار ، فعَمِيتْ عن الرّشْدِ ، وقَادَتْها الغيرةُ إلى الغَىّ ، فأَخذتْ تُفكّر لتُلقِىَ ضرتَها فى

الجحيم ؛ فتمحُو مَفْخَرتَهَا بفَقْدِ وَلدِها ، والتّفِريق بينَهُما ، وتجْعلُها تَقْضِي نهارَها ولَيْلَها حَزينةً باكيَة.

خَلتْ زوجةُ الغَنِى الأُولى إلى نَفْسِها فى غُرفتها تُفكّرُ وتُدبِّر ثلاثَ لَيال مُتوالِيات ، وفى كُلِّ لَيْلةٍ تَبِيتُ ساهِرةً تَطوفُ بِفِكْرِها باحِثَة ، لعَلَّهَا تَعثُر على حِيلةٍ نافِعة ناجِحة ، تُمكِّنُها مِن اغتيالِ ابن زَوْجها وافْتِرَاسِه .

• • •

كان مَوْسِم زِيارةِ النَّاس للكعبة فى مكّة قَدْ حَان ، وأَخَذَ الرّاغبُونَ مِنْهم فى الاسْتِعْدَادِ لِلزِّيارة ، وَفى اللَّيلةِ الثالثَةِ من ليالِى تفكيرها سَقطَتْ عَلَى بَالِها فكْرةٌ أَنْعشَتْها ، وانْشَرحَ لَها صَدْرُها ، إذْ وجَدتْ فِيها هَدَفَها وأُمْنيَّتَها ، وفى الصَّباح بَدأَتْ تَخْطُو

خُطُواتِها السَّريعةِ إلى تَنْفِيذ فِكرتها .

اِختارتْ ثلاثة رِجالٍ شِدَاد أقوِياء مِنْ أَشْرار الْمدِينة ، وَفى جَلسَة سِرِّيَّة فى بَيْتِ أَبِيها ، شَكتْ إِليْهم حَالَها ، وأَطْلعَتْهم علَى فِكْرتِها ، وقالَت :

سأُسافِرُ إلى مكة ، ومَعِى ابْنُ ضرَّتى ، سَببُ شِقوَتى وبُؤْسِى ، وهَوَانِى على نَفْسِى ، وأَنْتم تُسَافِرُونَ معَنا إلى مكة فى هذَا الموسم ، عَلى شريطةِ أَنَّنِى لا أَعْرِفُكم ولا تَعْرِفونَنِى ، وهناك فى مكة تحتالون عَلَى ابْنِ ضَرَّتِى ، وتأْخُذونه إلَى العَرَاءِ وَتَقتُلونَه ، وَسأُعْطِيكم لِقاءَ ذلِكَ نَفقاتِ سَفَرِكُم ذِهَاباً وجَيئَة ، ومُكافأَةً ماليَّةً سَخِيَّةً تُرضِيكُم مِن مَالِى الَّذِى ادَّخَرْتُه سِرًّا فى بَيتِ زَوْجِى ، وكانتِ المُكَافأَةُ سَخِيَّةً مُغْرِيَة ، وهُمْ يأْلَفُون الشَّرَّ والأَذى ، فَرضُوا



اختارت ثلاثة رجال أشداء أقوياء . . .

بِمَا قالتْ . وَوَعدُوها أَنْ يكتمُوا الأَمرَ ويُسافِروا مَعها إلى مكة ومَع المسافِرين مِنْ أَهْلِ المدينَة لزِيارَةِ الكعبة .

فتح المُسافِرون من أَهْلِ المدِينة بُيوتَهم ، ومنهمُ الرِجالُ الأَشْرارُ الأَربعة ، لاستقْبالِ المسلِّمين والمُوَدِّعِين مِنْ أَقْرِبائِهم وأَصْحابِهم ومَنْ يَعرفُونَهم ، واتَّفَقُوا على أَنْ يُسافِرُوا مَعاً ، وأَنْ يرْكَبُوا فِى فُلْكٍ واحِدةٍ تَحمِلُهم إِلَى أَرضِ الحجاز .

كانَ عاملُ الغَنِىّ وصَديقُ ابْنهِ قدْ عَرَفَ أَنّ صَدِيقَه ابْنَ الغَنِى رَاحِلٌ إِلَى الكعبة لزِيارتِها مَعَ زَوْجة أَبِيه . فَأَصَرَّ على أَلاَّ يَتْرُكَه يُسافِر مَع زَوجةِ أَبِيه وحْده . وأَنَّه لا بُدَّ أَنْ يُصاحبَه ، ووَجَد هذا رغْبةً

وهَوًى فِى نفْسِ صَدِيقه .

• • •

أَقلَعت السّفينَةُ تحملُ المُسافِرين مِنْ أَهْل المدينَة ، وفيهم زَوجةُ الغَنِى وابنُه والعاملُ صَدِيقُه والأَشرار الثلاثة ، وأَبْحرت فى البحر الّذِى كُلّما شَعَرأَنَّه يَحملُ أناساً ثابُوا وأَنابُوا إِلَى رَبِّهم ، يؤُمون البيت الحرامَ طلباً للمَغْفِرة، فرِحَ بِهم فاطمأَنّ وهَدأَ ، وكُلّما أَحَسَّ البحر أَنّه يَحْملُ غَدْرًا وخِيانَة ثارتْ أَمْواجُه ، وعَصفَتْ رياحُه ، وغَامَتْ سماؤُه ، وأَظْلمَ جَوُّه ، وأَمْطرت سُحُبه ، ومَلأَ السّفينَةَ خَوْفاً ورُعْباً .

دَخَل هَؤُلاءِ المَسافِرون مدينَةَ مكة المملوءَةَ بالزَّائرين والزائراتِ من كُل بَلد وسَكَنُوا فى بيوت اسْتَأْجَروها ، ليَعِيشُوا فِيها مُدّةَ إِقامَتِهم ، وكانَ الأَشرارُ الثَّلاثةُ

يَرقُبونَ ابنَ الغَنِيّ سِرًّا ، ويَعرِفُون حَركاته وسَكناتِه ، وتَوزَّعُوا مُراقَبته ، كُلّ مِنْهم لَهُ نَوْبَتُه .

• • •

استَيقظَ ابن الغَنِيِّ من نَومه بَعدَ طُلوع الفَجْر ذاتَ يوم ؛ وخَرَجَ من البيتِ تارِكاً فيه زَوجةَ أَبيه وصَديقَه نَائِمَين ، وذَهبَ إلى الكعبة ؛ لِيَستغْفرَ ربّه ويدعُوَه أَن يكشفَ عَنْه الضر إذا نزل به ، وأَنْ ينَجّيه من كُلِّ مَكْرُوهٍ يُصِيبُه .

كانَ الذى علَيْه نَوْبةُ المراقَبة ، مِن الأَشْرَار الثلاثة قَدْ باتَ يَترصَّدُه ، فلما رَآه قد خَرَجَ وحْده . سَار مِن ورَائِه يَتْبعُه حَتّى اسْتَقر فى الكعبة ، ثمّ مضى إلى زُملائِه وعُصْبَتِه فى بَيتهِم ، وهُنَاكَ أَخْبَرهم أَنّ ابْن الغَنِيّ خَرَجَ من البيْت وحْدَه ، وهُو الآنَ فى

الكعبة، ويُخيّلُ إلىّ أنّه سَيمكُث بِها طَوِيلا .

قال أَحدُهم : إنّه الآن وَحْده ، وليسَ مَعه أَحدٌ من أَصْحابه ومَنْ يَعرفُونه ، وتلْكَ الفُرصَةُ الّتِي لبِثْنا نَنْتَظِرها ، فَهيّا بِنَا إليه لنَجْتَمِع به ونَحْتالَ علَيْه حتّى نَخْرُجَ به إلى العَراءِ ، وهُناك نَقْضى علَيْه ، ثمَّ نَعودُ إلَى بيْتِنا آمِنِين .

مَضَى الأَشْرارُ إلى الكعبة مُسْرِعين ، وهناكَ جَلسُوا بجوارِهِ فى هَيئَة التّائِبين النّادِمين ، يسْتَغْفِروُن ربّهم ، وينْدَمونَ علىَ ما فَرَط مِنْهم ، ويعلنون توبةً إلى الله صريحة خالِصَة .

وَلما رَأَوا ابن الغَنِىِّ قد سكَت ، التَفت واحِدٌ منهم إليْه، وأَخذ يهنئه بِتلْكَ الزّيارةِ الميْمونَة ، ويَدْعُو الله

أَن يكتُبَ له زِيارات غَيرَها ، وانْضَم إليْه زميلاه ، وأَخذ الجميع يَهنّئُونَه ، ثُمّ أَخَذوا يتحدثُون عن الكعبة وتَارِيخها ، وكانَ حديثاً لذِيذًا شائِقاً أُعجِب به ابنُ الغنىِّ ، وفى تِلْك اللحظَةِ اقْترح أَحدُهمُ أَن يَجولُوا فى مكّة ويَطوفُوا بها ، حَتّى يَقفُوا على كثير من آثارها ، ويَزْدادُوا مَعرفةً بِها ، وفَرِحَ ابن الغَنِى بتلْكَ الفِكْرة فقَال :

هَيَّا بِنا ، فتِلْكَ فرصَةٌ قَدْ لاَ تَقعُ فى أَيدينا ، وبعدَ لحظةٍ كانُوا يَجولونَ فى المدينَة ، ثمُ ساقَهم التَّجوالُ إلى خارج المدينَة ، وكانَت الشَّمسُ قد طَلَعتْ ، ولا تَزَالُ تَلْمسُ الأُفق ، وبَدا لَهم العَراءُ برمالِه الجميلة ، وهضابِه المتُنَاثِرة ، علَيْه حِليةٌ من أَشِعةِ الشَّمسِ الذَّهَبِية ، فاسْتمالَهم مَنظرُه الجميل

إلَيْه ، وسَحرَتْهم الطبيعةُ بجمَالها ، فوجدُوا أَنْفسَهم يَسِرون فى العَراءِ ويَسيرُون ، حَتّى بَعُدوا عَنِ المدِينَةِ بُعْدًا ساحِقاً ، وأَمِنوا علَى أَنفُسِهم أَن يَراهُم مِنْها أَحَد ، ثم أَشار أَحدُهُم إِشارة كانوا قد اتفقُوا عليها فانْقضُّوا عليه دفَعةً واحِدةً وأَمْسَكُوا يَدَيْهِ ورقبته يريدُونَ أَنْ يَخْنُقوه ، فأَيقَن من عَملِهم هذا غَدْرًا بَشِعاً ، وعَزْماً مُبَيَّتاً علَى قَتْله ، وكانَ شُجاعاً قَوِيًّا ، فانْفلَتَ من أيديهم بقُوّة ، وضَربَ بجُمع يَدِه بَطْنَ وَاحدِ مِنهم ضَرْبةً مُميتَةً مَزَّقَت أَمْعَاءَه ، فسقَط علَى الأَرضِ مَيِّتاً لا يتحرك ، وكان بالعراءِ حِجارةٌ كبيرة مُبعثَرة ، فأَسرع زميلاه إليها ودَقَّا رأْسَه بِها فَوقَع علَى الأَرضِ مغشِيًّا علَيْه ، وحَسباه قد ماتَ وفاضَتْ رُوحُه ، فتركاهُ وانفلَتا إلى مكة راجِعين ،

ولما قَربا منها مَشَيا الهُوَيْنَى كأَنَّهما قادِمان من نُزْهة خلَوية، واتّصلَ أَحَدهُما بزَوجة أَبيه خِفيةً وأَخْبرَها أَنهم قَتلُوهُ فى العَراءِ وأَنه قتل واحدًا مِنْهم ، وأَنَّهما تركاه طَعاماً لطيور الفَلاةِ وَوحُوشها ، ففرحت ودفنَتْ فَرحتَها فى صَدْرِها .

* * *

استَيقظت زوجَةُ الغَنِىّ والعامل صَدِيق ابنِه من نَومِهما فَلَم يَجداه ، فظنُّوه قد ذهَبَ إِلى الكعبة ، وأَنه عما قَرِيب راجعٌ إِليْهم ، ولما طالتْ مدّةُ غَيبتِه أَظهرتْ زَوجةُ أَبيه قَلقَها عَليْه ، وتحيَّر العامِلُ فى أَمْرِ غَيْبتِه الطَّوِيلَة ، فأَسْرعَ من فَوْرِه ، وخَرَجَ إِليْهِ باحِثاً عَنْه ، وتَرك زوجةَ أَبِيه فى البَيت راجِيةً أَنْ تكُونَ غيبَتُه هَذِه غِيبَةً أَبَدِية ، حَتّى جاءَها أَحدُ

رِجالِها الأَشرارِ الخَونَة ، وبَشَّرَها بقَتْله .

أَمّا الصّدِيقُ فإِنَّه ذهب إلى الكعبة ، وجعَلَ يَبْحث في نَواحِيهَا وَمخابِئِهَا فما وجده ، فَخَرج منها إلى المدِينَة جائِلاً في شَوارِعِها وطُرقها متفَقّدًا متاجِرَها ودَكاكينها فما عَثرَ له علَى أَثَر ، فانْفَلتَ إلَى العراءِ طائِفاً حَوْلَ المدينة ، ولمّا لمْ يجِدْهُ ابتأَس وتَحيّر ، واستمّر سائِرًا يُفكِّر وهو جائِلُ البصَر ، وقال فِي نفسِه

إن صديقى شُجاعٌ فَتِى ، شَديد قَوِىّ ، عاقِلٍ ذكِى ، فإِلَى أَيْن ذَهب ؟ وكيْفَ اختفَى ؟ وعلَى أَيِّةِ حالٍ فإِنّى لَن أَعُودَ إلى أَبَويْه حَتّى أَعُودَ فى صُحبتِه ، ولَن أَسكتَ عن طَلبِه حَتّى أجدَه أَو أَقِفَ علَى مَصِيره.

وبَيْنَما هُوسائِر وقَع بَصَرهُ على آثار أَقدام لجماعةٍ ممتَدَّة فى العَراءِ فقالَ فى نفْسِه :

لَعلّهُ سلَكَ هذِه السبيلَ مع السَّالكِينَ ، ولا بُدَّ لى من السّيْر فِيها مَهْما يَبلُغْ خَطرُها ، ووَجدَ نَفْسَه قد مشَى قُدُماً فَوق هذِه الآثار ، وعجبَ الصَّدِيق أَن رأَى تِلك الآثار ممتدَّة فى العَراءِ ، دونَ أَنْ تَنتَهى إِلى غَاية ، ولكِنّه معَ هذا العَجَب أَحَسَّ من نَفسه كأَنّ دافِعاً يدْفعهُ إِلى الاسْتِمرار فى سَيرهِ ، وخُيلَ إِليْه أَنّ هَذا الدّافع النَّفسىَ يعدُه ويُمَنِّيه بالعُثور علَى ضَالَّتِه ، وأَنّه سَيلتَقِى بصديقه ابن الغنى .

جدَّ الصديق فى سيرهِ ونَشِط ، غيرَ عابئٍ بِما عَسَى أَن يُصِيبَه من مكرُوهٍ فى فَلاَةٍ مُوحِشَة لا أَنِيسَ بِها ولاَ سَند ، ثم رأَى أَمامَه علَى بُعْدٍ شَبَحَيْن لرجُلَين ، أَحدُهما قد اسْتَلْقى على ظهره ، والآخَر قد جلَس مُطْرِقاً تَحمل رأْسه ذِراعاه ، فزَادَ نشاطُه فِى سَعْيه حتى كانَ

أَمام صَدِيقه ، فَفرِحَ واَستبشَر ، ولكِنّه عجِبَ وابتَأَسَ حِين وجَدَه مُصاباً فى رَأْسِه فى تلِكَ البُقْعَةِ المنقَطِعة عَن العُمران ، فسأَلهُ قائِلا :

أخى وأَعَز إِنسانٍ إِلى نَفسِى ، مَنْ فَعل بِك هذا ؟ وكَيفَ قَدِمتَ إِلى البُقعةِ الموحشَة ؟

* * *

كان ابْن الغَنِى قَد أَفَاق من غَشْيته ، فجلَس تِلك الجلسَة البئيسة ، حَتّى يَقْوَى على المسير ، ثم يَستأْنفَ سيره عائدًا إِلَى المدينَة ، ولما وجَدَ صَديقَه عِنْده فَرِحَ ونَشِطَ قَلِيلا وقَال :

خَدعنِى ثلاثة رجَال من بلْدتِنا ، وهمُ فلان وفلان و .. وأَغْرَوْنى بالتَّنَزه معاً فى العَراء ، والاستِمتَاعِ بجمَال الطّبيعَة ، وسرْنا نَتسلَّى بالحدِيث ، ونَستَمتع بمناظِر

الطبيعة التى لم تَمتدَّ إلَيها يد إنْسان ، حتى وصَلْنا إلى هذا المكان ، وعلَى بغْتَةٍ وجَدْتهم قد قبضوا علَى يَدىَّ ورقبتى يُريدونَ أَن يخنقونِى ، فانْطلَقت من أَيديهم بقُوة ، وضربتُ واحدًا منهم بجمع يَدى فى بَطنِه ، فَسَقط مَيّتاً ، وهو فلانٌ هَذا الذى تَراهُ مُسْتَلقياً على ظَهْره ، أَما الرجلان الآخران فإنهما عَمدا فى سُرعَة الخائِف على نَفسِه ، إلى تِلكَ الحجارَة المبَعثَرة ، ذاتِ النُّتُوءِ البارزة الحادة ، وأَمسكَ كل مِنْهما حجرًا ، وهجم عَلىَّ وكانَت الضَّربةُ الأُولى فى رأْسِى ضَرْبةً مُمِيتة ، فوقَعتُ مغْشيًّا علَىّ ، ولا أَدْرى ما فَعلاه بعد ذلك ، ويَبْدُو لى أَنَّهما حَسِبانى قُتِلت وفارقتْنى الحياة ، ولهذَا تَركانِى ورَجَعا إلى المدِينَة ، ولَوْ عَرفا أَنّنى ما زِلتُ حيًّا لأَجْهزا علَىّ ، وكنْتُ

الآنَ فى الآخِرَة .

قال العاملُ الصّدِيق : الحمدُ لله الَّذى نَجّاكَ مَنْهم وكَتَب لكَ السَّلامَة ، وقَام إليْه فَرَبَط رأْسَه بما مَعَهما من المنَادِيل ، ثُم نَهض فى إعْياء ، ومَشَى مَعَه مُتَحاملا عَليْه ،ورَجَعا إلَى مكة .وسَكَنَا فى بيتٍ غير بيتهما الأَول ، وأَقاما فيه مُختَفين ؛ حَتّى لا يَراهُما أَحدٌ من أَهلِ بَلْدتِهما ، وعزمَا علَى البقَاءِ فِيها حتَّى ينتَهىَ مَوسِمُ الزيارَة . ويَرحلَ الزائِرُون والزّائرات إلَى بِلادِهم . وحَتَّى يُشْفَى ابنُ الغَنِىّ مِن جُروحه . وتَرتدّ إلَيْه عافِيتُه .

ولمّا حَسُنَتْ حالُ ابن الغَنِى ، وقَرُب من الشّفاءِ سأَله العامِلُ صديقُه :

هَلْ تَعرِف سِرَّ هَذا الحادِث الأَلِيم ، والأَسْبابَ

التى دَفَعَتْ رجالاً من بَلْدَتِنا إلَى أَنْ يَغدُروا بِك ويَقتلُوك ؟

فقال :

لقَدْ حدثْتُ نَفْسِي كَثيرًا عَسَى أَنْ أَقِفَ عَلى سِرِّه وأَسْبابِه فَما اهتَدَيتُ إلَى شَيءٍ مِنْها ، ولا أَزالُ منْه فى حَيرَةٍ ودَهْشةٍ وعجب .

فقال العامل :

قَدْ عَرفْتُ مِنْك أَنّهم لم يأْخُذوا ما كانَ مَعكَ من نُقود .

قال : لم يأْخُذوا مِن جُيوبى دِرْهَماً وَاحِدًا ، ولو أَرادُوا أَنْ يَسلبُونى ما أَبْقوا مَعِي شيئاً ، فقد كنْتُ مَغشِيًّا علَيّ ، لا أَتحركُ ولا أَتورّك .

قال العاملُ الصّديق : حِينئِذ كان القَتلُ مَقْصُودًا

لذاته ، ولم يكُن وسِيلة لسلْب المال أَو غيره ، ولا يَسْعى إلى قَتْلك إلاّ مَن له مَصْلحةٌ فيه ، ويَبْدُو لِي أَنَّ زوجَةَ أَبيك ، وضَرّةَ أُمّك هي صاحِبَة الفكرة في قتلك ، ومُدَبِّرة الوَسِيلة إِليْه .

قال ابن الغَنِي : لاَ أَذكرُ أَنِّ أَسأْتُ إِليْها في حَياتي ، وقد كنتُ حَرِيصاً على أَنْ أُعامِلَها كما أُعاملُ أُمِّي . فمَا الَّذِي يدفَعُها إلى ارْتكابِ تِلك الخطيئة الكُبْرى ؟

قال الْعامِل : لقَد كرِهَتْ أَن يكُونَ لضَرّتها ولَدٌ نَجِيبٌ مِثْلُك تَعتزّ به وتفْتَخِر ، وهِيَ عَقيمٌ لاَ ولَد لها ، فَسَاقَتْها الغيرةُ ، ودفَعَها الحِقْدُ والحَفيظة ، إلَى ارتكابَ هذِه الخَطيئَة ؛ لتُطفِئَ في صَدْرها نارَ الغيرة ، وتَشفِي نَفسَها مِن أَوجاعِ الحِقدِ والحسَدِ والحفِيظة ، وستُظْهرُ لَكَ الأَيامُ صِدْقَ ظَنِّي وحَدْسى .

قال ابن الغَنِى : اللهُ حَسْبى ، وقَدْ وكلتُ إليْه أمْرَ الانْتِقام لِى .

انْتَهى الموسِم ورَحَلَ الوافِدُون والوافِدات لزِيارةِ الكعبة إلى بِلادِهِم ولم يبق فى مكة مِنْهم إلا ابْنُ الغَنَّى والعاملُ صَدِيقُه .

ورَجعتْ زَوْجَةُ الغَنِىّ إلَى بيتِهِ رُجُوعَ الثَّكْلَى الّتِى فَقَدت واحِدَها فِى حِجْرها ، وبالغَتْ فى البُكاءِ وَمظاهِرِ الحزْنِ الأَلِيم ، بعد أَن فَقَدت ابنَ زوجِها فى مكة وفى الطَّرِيقِ إلى بَلْدَتها وفى بَيتِ زَوجها نِفَاقاً ورِياءً حَتّى تَسْلَم من الشُّبْهَةِ والظِّنَّة ، أَمَّا بَيْنَها وبَيْنَ نَفْسِها فَقَد كانَتْ على أَحْسَنِ حالٍ من الفَرَحِ والغِبطَة .

* * *

قَصَّت المرأَةُ على زَوْجِها فى أَنِين وتَوَجُّع وبَكاء اخْتِفاءَ ابنِه والعامِل صَدِيقهِ ، الّذى خرجَ من البَيْتِ فى طَلَبِه ، والبَحْثِ عَنه . وذاعَ أَمْره فى المَدِينة ، وتتابَعت الوفُود إلى الغَنِىِّ لمُواساتِه ، وتَخْفِيفِ الحادِث عَنْ نَفسِه ، وكانَ كثِير من الطَّيِّبِينَ والطَّيِّبَات يُبشرونه على الدَّوام بِرُجوع ابنِه وصَدِيقه سالِمَيْن .

أَما أُمُّه فَقدْ أَضْنَاهَا الأَسَى ، وكادَتْ تَبْيَضُّ عَيْناها من الحزْنِ والبَكاءِ عليه ، وكانت إِذَا اجْتَمعت النّساءُ حَوْلَها وأَخَذْن فى مُواساتِها ، واستِنْكارهن اسْتِسلامَها إِلَى الأَحْزانِ ، وعَدَم اعْتِصامها بالصَّبْرِ الجميل تقول لَهُن :

نارُ الحَىِّ حَيَّةٌ لا تَنطَفِئُ ولا تخمد .

أَمّا ضَرّتها العَقيم فقد وجَدتْ من حالِها البئِيسَة كُلّ

فَرْحَةٍ ومَسَرّة ، وإنْ كانَتْ لا تَزالُ أَمامَها وأَمَام زوجِها وأَمام الناسِ حَزِينةً باكيَة .

• • •

مَرَّت الأَيّام وتَمّ شِفاءُ ابْنِ الغَنِيّ ، وارتَدّتْ إليْه عافِيتُه وصحتُه ، وعَزم علَى الرّحيلِ هو والعامِلُ صَديقُه إلى بلدَتِه .

وفى صَبَاحِ يَومٍ ركبا فى السَّفِينَة ، ثُم أَقلعتْ بِهما ، وجَعلتْ تَجرِى فَوْقَ سَطْحِ الماء كَأَنَّها النَّسِيمُ الرُّخاء ، تظِلُّهما سَماءٌ صافِيَة الأَدِيم ، ساطِعَةُ الأَنوار بالنَّهار ، قد ازيَّنَتْ بكواكِبِها الزَّاهِية المنيرة فى اللَّيل ، فكأَنّ الطَّبيعةَ بِهُدوئها وجمالِها تُعلِن فَرحتَها بنَجاةِ البَرِىء مِنْ كَيدِ الغَادِر الأَثِيم .

دخَل ابنُ الغَنِيّ مدينة أَبيه ماشِياً ومَعه العامِلُ



أما أمه فإنها ضمته إلى صدرها ....

صديقَه ، وما كادَ الناسُ يرونَه حتَّى انكَبّوا عليهِ مُهَنِّئين بقدومه سَالماً ، وسارَ إلى قَصْرِ أَبيه فى جَمْعٍ من المهنِّئِين الفَرِحِين بقُدومهما سالمَيْنِ ، وكان الجَمع يزيدُ ويكْثرُ عدَده كلّما خَطا إلى قَصرِ أَبيه خَطْوة ، وانتَشَر نَبأُ قُدومِهما فى أَنحاءِ المدِينة فى لمحِ البَصر ، ودخَلَ قَصرَ أَبيه فوجَد أَبَويْه ينتَظِران قُدومَه فى شَوقٍ عَظيمٍ ، واحتَضَنَه أَبُوه وقَبّل رأسَه ، كما قَبّل هُو يَدَيْ وَالدِه ، أَما أُمُّه فإنَّها ضَمَّتْه إلى صَدرِها ، وأَطبقَتْ عليْه بِيَدَيْها ، ثم سقَطتْ من شِدَّة الفَرحة بين يدَيْه مغْشِياً عليْها ، فأَسْرعوا إليْها وأَسْعفُوها حتّى أَفاقَتْ ، وفى الحال أَقام أَبُوه حَفَلات الأَفْراح ، وذَبَح الذَّبائحَ ، وأَطعم الأَغْنياء ، وأَشْبَع الفُقَراءَ ؛ شكرًا لله الذى حفِظَ ابنَه ، ونجّاهُ من شر زَوجته

الآثمة الجاحدة .

• • •

أَما زَوجة أَبيه فإِنَّها لم تَفْرح كَثيرًا ؛ لأَنّ الله عَجّل لَها بالعُقوبَة قَبْل أَنْ يعودَ الابْن والعاملُ صَدِيقُه ، فأَصَابها بمرضِ الجُذام الذى شَوَّه خَلقَها ، ومَسخَ صُورتَها وأَلزمَها فِراشَها ، ولم يُمهلْها المرضُ طويلا بعد قُدوم ابن زَوجِها ، فَقضى علَيْها بَعد أُسْبوع من قُدُومه ، وشُيِّعَتْ إِلَى قَبرِها تَحمِل حَسْرَتها وخزْيها ، فقَد كَشفَ العامِلُ عَن أَمرها ومكرِها ، وأَبانَ للنَّاسِ كيفَ خانَتْ ومَكَرت وغَدَرت بابن زَوجِها ولِىّ نِعمتِها حِين سأَلُوه عن سَبب اختِفائِهما وغَيبَتِهما .

• • •

ذكَر ابن الغنى الحادِثةَ كما وقَعتْ ، وذكَر أَسماءَ الأَشْرار الثلاثة ، وعجِبَ الناسُ حينَ وَجدوا أَن الله الذى يُدافع عن الطَّيبِينَ من عبادِه قد عَجلَ لهُم بالعُقُوبة الواعظة ، فهذه زوجة أَبِيه قد ماتَتْ بمرض الجُذام ، أَما الشريران ، فإنَّ واحداً مِنْهما سقَطَ عليهِ جدارُ بيتهِ فماتَ لسَاعتِه ، والآخر قَد أُصِيبَ بالعَمى فجأَةً ، وهو الآنَ رهِينُ بيْتِه ، يَعيشُ على ما تَجود بهِ أَكُفّ المحْسِنين ، وقد لَحَظَ الناس عليْه بَعدَ قدومه من حجّه النَّدَم وكَثْرة الاستغفار كأَنه يَبرأُ إلى الله من إثْم ٍ عَظيم فَعله ، وأَنه حِينَ بلغَه نبأُ قُدوم ابن الغنى استراحت نَفسُه وحَمِد الله الذِى حفِظه ونجاه ، ثم جيءَ به وحكى القِصَّة كما حكَاها ابن الغنِى ، وقال له :

إنَّ زوجَة أَبيك استقلّتْ بتدبير خُطّتها ، وهىَ الّتِي خَدَعَتْنا ودفعتْنَا إلَى تَنْفيذِ خُطّتها التى دبّرتْها بمكرِها ، فلعْنَة الله عَليْها حَتّى تُبعثَ ، وتَلْقى جَزاءَها من أَحْكم الحاكمِين .

أَما أَنت فإنى أَرجو لك السّلامة فى دِينكِ وأَنْ تَصْفَح عَنّى فقَد نَدِمت وتُبت إلى الله . وكفانِى ما أَصابنى من العَمى والفاقة .

قال ابن الغَنى : وكَلتُ أَمرِى إلَى ربِّى ، واللهُ وَلِىُّ الصابِرِين .

فرغ الوالد من حكاية « عاقبة الأشرار » ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية ، حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » . . طاب مساؤكم ، وتصبحون على خير . . .

رقم الإيداع	١٩٩١ / ٧٢٢٣٧
الترقيم الدولى 977-02-3420-6	ISBN

١ / ٩١ / ١٥٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

حكايات الليالى

هذه مجموعة من الحكايات الممتعة.. التى تعيد إلى الناشئة أجمل مافى الليل من تقاليد الأسرة العربية.. حينما يجلس الأب إلى أبنائه ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة.. فيجيبهم ويحكى لهم واحدة من الحكايات.. تحمل الحكمة.. والطرافة.. والخيال.. بأسلوب سهل ميسر.

صــدر منهـــا:

١ - القيثارة الساحرة
٢ - بنت الصياد وابن الملك
٣ - الأخـوة الثلاثة
٤ - فطانة القاضى
٥ - الفقير الطامح
٦ - القرد العجوز
٧ - الطائر المغرد
٨ - الأمير المغامر

٢٠٨٧٥٦